الفصل السادس والثلاثون

التمثـــال

نقل أحمد بعد خروجه من المستشفى الى زنزانة وانقطعت صلته بالعـالم الخارجي، وحظر على عائلته زيارته، ولم يكن يطالعه سوى وجـه الحـارس الكئيب لينـاوله طعامه، فكان يمضي الوقت مستلقيا مفكرا في كل ما مر به مـن أحداث.. وكان يداوم على التمارين الرياضية يقوم بها وهو مستلق اذ كان سقف الزنزانة الوطيء لا يسمح له برفع يديه الى أعلى، وكان هذا جلّ ما يـستطيع فعله للإبقاء على صفاء فكره وحيوية جسمه.. ولم يعد النوم يـزور جفنيـه الاّ لماما، فيستيقظ على لجب السجناء يعذّبون في باحة السجن الداخلية.. وكان في الفترة الأولى يقف أمام النافذة ليشاهد الأعمال الوحشية التي يقوم بهـا زبانيـة المباحث، فتطالعه الوجوه الصفيقة منتـشية بـسفالتها، والقامـات المتبختـرة تستعرض عضلاتها تجر من حين لآخر سجينا لترغمه على الإعتراف..

وكانت البركة الداخلية في وسط الباحة مسرحا لكثير من أعمـال العنـف التي تملأ القلب سخطا ونقمة، ورغبة في سحق تلك الضباع البشرية التي فقدت إنسانيتها دون أن يختلج لها جفن، وكان أحمد يعجب أي الأوغاد أسوأ: الـذين فقدوا ضميرهم أم الذين ما زال لهم بقية ضمير.. كانوا سربا من الذئاب الجائعة انقضت على قطيع لا راعي له فأخذ يفري فيه فريا.. لم ينقصهم الاّ ان يـأكلوا اللحوم البشرية، ويمدوا أوعيتهم ليملؤوها بالدم البشري على دق الطبول.. ولكن مكافآتهم كانت تتلاءم مع أواخر القرن العشرين، رواتب على مستوى كفاءاتهم في القسوة والسفالة..

يبدؤون طقوسهم بحفلة تعميد في البركة فيجعلون أسيرهم يداعب المـوت اختناقا، وكلما حانت روحه لديه رخصت روحه عندهم، فيعمدون الى التـضييق

عليها دون ازهاقها، ببطء وروية وحساب حتى اذا اقترب صاحبها من اللحظـة التي يعانق فيها منيته، فرقوا ما بينه وبين تلك التي غدت رسولة خـلاص لـه ليطيلوا عذابه أو يفسدوا طويته.. ولما تعب أحمد وأعيا مـن تلـك المـشاهد انصرف عنها، فلا تلهفه بمجد ولا توجعه بمنقذ أحدا..

ومرت الأيام تباعا وذات يوم دخل عليه رجال أوثقوا يديه وعصبوا عينيه وقادوه الى سيارة عسكرية أخذت تسير بأقصى سرعتها.. لم يكن وحيـدا فـي السيارة فلقد كان رأسه يرتطم برؤوس أخرى، وخيل لأحمد أنهم يأخذونهم الى الصحراء للإعدام، وأعد النفس لاحتمال ساعاته الأخيرة محادثا نفسه:

-ليس الموت من أجل دحر الظلم كارثة يا أحمد.. أن يكون لك القدرة أن تهلك من أجل هذا، لتكشف الأقنعة المزيفة، لتعري الخـدم الجـدد للإسـتعمار الحديث ليس مأساة يا أحمد!

ان مثل هذا المصير جعل المسيح نبيا.. كل الناس يموتون بطريقة ما، أو يضعون حدا لحياتهم لسبب ما.. أما أن تموت من أجل الحقيقة فهذه هي الميتـة الجديرة بك.. ليست مأساة ولا كارثة.. انها الخلود نفسه، انها قطرات الدم التي تلهب ضمير الأمم وتجعل الإنسان أفضل.. لم تتوقف السيارة في مكـان مـا.. كانت تطير، لا بد أنهم ينقلونهم الى سجن آخر خارج محافظة دمـشق، وشـم نسيم البحر فقدر أحمد أنهم ينقلونهم الى سجن اللاذقية فهو التـالي فـي سـوء السمعة لسجن المزة..

كان تقديره في محله.. توقفت الشاحنة وقيد السجناء الى الـداخل، ووزع السجناء وألقي أحمد في زنزانة أخرى.. كان أحمد مجهدا من السفر والجـوع والتفكير، وحل وثاقه ورفعت عن عينيه العصابة وأغلق دونه الباب..

لم يمر وقت طويل حتى دخل الزنزانة رجل جهم بيده مسدس واستدعاه للذهاب الى التحقيق، تتكرر نفس القصة ولكن المحقق لم يكن موجودا في القبو الذي نزل فيه، المحقق كان جلادا وبيده السوط يضربه على رأسه ويقول:

-وقّع أو مت تحت التعذيب!

كانت هذه هي المرة الأولى التي تعرض فيها أحمد للضرب بتلك الشراسة والإصرار وخشي أن يفقد عقله ويصبح مجنونا.. وغدا الموت أهون لديه ألف مرة من أن يفقد ذلك النور الذي يتأجج في جمجته.. كان على يقين أنه على حق وأن الشعب السوري قد يصبر عاما واثنين وثلاثة على حكم طاغية ولكنه ينفجر في النهاية!.. لم يكفّ عنه السوط حتى ارتمى فاقدا رشده.. وانساب عقله الباطن لينسج قصة حياته..

دمشق في مهرجان، دمشق في عيد، الناس يرقصون ويغنون في الشوارع، الأعلام والزينات وعناقيد الكهارب في كل مكان، هتافات تدوي في الفضاء.. لمن هذه الهتافات؟ أسهم نارية تتفرقع في الجو ثم تهوي مظلات نور ملونة بألف لون ساحر.. ماذاهناك؟ وفيم فرحة دمشق؟ انهاعارمة زاخرة كالموج.. وانسلّ أحمد بين الجموع.. لماذا يحس بالغربة؟ انه ابن دمشق الباسلة، ولكن لم يشعر فيها بالوحدة والغربة؟ ووقف شارد البال ينظر الى الأيدي الملوحة.. وفجأة سمع اسمه يردد.. ان هذا حلم.. لا يمكن أن يكون الاّحلما.. هتف أحدهم: "هذا هو فانظروه!" تتوجه العيون نحوه ويندفع حوله الناس ويهزه جاره من كتفه "جاؤوا يحيونك، شعب دمشق جاء يحييك، لماذا لا تتحرك؟"

وأحس أحمد بشيء يكبر في قلبه ويغمر بالدمع مقلتيه.. انه مغمور لا يمكن أن يبالي به الناس، كل تلك الجماهير! ولكن الأيدي لم تلبث أن حملته على الأعناق وسارت به وأحس بالخجل.. لا يحب أن يحمل على الأعناق،

وأحس بالخجل والحرج.. ولم يدر أهو مكرم أم مهان وهو معروض هكذا على الأعناق!

"ماذا فعلت يا إخواني حتى أستحق هذا منكم؟ انني أنام بـين أهلـي فـي الدفء على فراش وثير.. وأنتم تنامون بعيدين عن أهلكم في المخيمات والبرد صقيع.. لا تكرموني ليس من بطل سواكم"

تفرس في الوجوه الأليفة لديه.. هؤلاء طلبته جيلا بعد جيـل.. وصـافح الأيدي الممتدة..لا، لايمكن أن يصافح كل الأيدي العزيزة لديـه.. هـذا أمـر يطول! ووجد نفسه يعرك أذن شاب ضاحك السن وقال له: "إحسان، لا تـسخر مني.. ان كنت تدبر لي مقلبا لتجعلني ضحكة بين رفـاقي فلـن أدوس معـك الواحة الخضراء.. ولكن قل لي يا إحسان، ألم تمت؟ كيف قيل لي أنـك مـت منتحرا؟"

حملوه طلابه الشباب الى المنصة وقالوا له: "أخطب بنا ياأستاذ!"

ووقف يفرك يديه وهو يحس بالحرج والإرتباك وبالعرق البارد يطفر من جبينه.. انه لم يعتد أن يقف خطيبا أمام جمهور كبير.. لم يحضر الكلمة، حسبه أن يكون في حلقة من طلابه المتميزين يحدثهم عن الحلم الأزلـي الكبيرالـذي يتمناه كل إنسان، حلم الحرية والخلاص للإنسان من العبودية:

-أعفوني ماذا أقول؟ ليس لدي ما يقال.. ان الإرتجال موهبة لا أملكها

وتعالى الهتاف:

-كلمة واحدة يا أستاذ..

-يعيش الشعب، وتحيا حرية الشعب..

ودوى التصفيق..

-يعيش الشعب وتحيا حرية الشعب..

-اياكم أن تصدقوا أن شعبا بلا حرية هو شعب حي.. "أعطني حريتي لأقول رأيي" هذا شعار كل شعب حي..

-لا تأتي بجديد ياأستاذ!

-أعذروني فقلبي طافح ولساني عيي.. صوتي لايخرج من حلقي ولا يصل مسمعي..

-اننا نسمعك يا أستاذ!

-أنا لست خطيبا ولكنني مهندس بترول أقول لكم يا إخوتي ويا أبنائي أنكم تملكون أعظم الثروات ولكنها ليست لكم.. أنتم لاتنتفعون بها ولكن تنتفع بها عصابات اللصوص..هل أدلّكم على حضارة تبنونها وتكونون أسيادها؟ ليتبعني الجائع والعاري والضائع والمضطهد فهؤلاء أقدر على التضحيات.. ليتبعني أحفاد كل عقيدة سماوية كانت حربا على العبودية لأخلصهم من العبودية الجديدة: الإستعمار الحديث..

وارتفع صوت إحسان من بين الجموع..

-حدثنا بقصتك.. الإنسان يصبح فصيحا حين يتحدث عن تجربته الخاصة..

-لا تزال كما كنت يا إحسان تكره الخطاب وتحب القصص.. لن تتعلم الاّ بالتجربة.. ولكن إعلم أن بعض التجارب قاتلة لاتتيح لنا أن نتعلّم بعدها..

وأحس أحمد بالحزن يلوي قلبه وهو يعي بغموض مصير إحسان.. وارتفعت الأصوات التي تحب القصص من مئات الحناجر..

-حدثنا بقصتك !حدثنا بقصتك!

-لست أذكر أن لي قصة ما.. عم تتحدثون؟

-أنت تنسى ياأستاذ..

-إنك ضعيف الذاكرة ياأستاذ..

-أتسخرون مني يا ملاعين؟

ورشقوه بالزهر وقالوا متضاحكين..

تعال انظر! اليوم افتتاح معرض الشعب في دمشق..

دخل قاعة كبيرة، انها ليست قاعة، انها مدينة، بل هو يشعر أنها سـوريا، عجت باللوحات والتماثيل! أيمكن أنها لوحات وتماثيل؟ انها تنطق. انها تتحرك بالفعل.. لقد تطور الفن يا أحمد حتى أصبح حياة.. هنا في لوحـات جبـصينية عششت على البرلمان خيوط العنكبوت.. ومن هؤلاء الصبايا الفاتنات المتشحات بالسواد انتشرن في باحته كأنهن زهرات يانعة هصرتها الريح؟ انهن الحريـات التي مثل بهن أبشع تمثيل، واحدة قطعت يداها وأخرى لسانها وغيرها أذنهـا وأخرى رجلاها، وغيرها تائهة تشد الشعر في جنون!

هذه لوحة كبيرة هائلة يدوم فيها الذباب والناموس.. انه يدور، انه يلـسع، ان له لسع النحل، أيمكن للفن أن يكون تطور ليشابه الحياة؟

وأحس أحمد بجسمه قد تورم.. ما هذه الوجوه البائسة الهزيلة تفرج مـن وراء ضباب الناموس والذباب تشرب من ماء المستنقع، وتأكل الحشيش، وتنام في بيوت اللبن مع الدواب؟

اللوحة تصدر أنغاما كالنواح، كالنعي، وينبعث منها رائحة خنزيرية..انهـا رهيبة هذه اللوحة فأي فنان عبقري رسمها؟

وهذه لوحة ضارب المعول..انه شيخ تخدد وجهه وهو يعمل تحت وقـدة الحر وفي البرد القارس، وعندما تتكدس ثمار أتعابه يأتي الجراد ويلتهم جهـده ويجلس كسير القلب مهيض الجناح..

وانتقل أحمد الى لوحة أخرى.. العمال المسرحون يجلسون مضربين عـن الطعام عند باب المعمل، وقد أطرق الحزن رؤوسهم، وأحنى الهـم ظهـورهم

وأسهم منهم الأنظار وأدمع العيون وشرد اللاب وهم يفكـرون بالغـد الغـادر والأفواه الجائعة ونوم الأرصفة ومد اليد في طلب الإحسان..

وهذه لوحة لصغار يجمعون أعقاب السجائر وعليهم أسـمال بليـت فيهـا الرقع، وهذه لوحة طفلة تباع خادمة في البيوت..

ارتدى أحمد للمهرجان بذلة الأعياد، ولكنه يشعر بنشاز لباسه فـي هـذا المكان.. انه يخجل منه ويحلّ ربطة عنقه ويواريها جيبه كأنما هي شاهد جريمة ويغمغم: "لا يحق لي أن أسير مرحا وسط هذا الشقاء.."

وحانت منه التفاتة الى تمثال.. أطال اليه النظر وأحـس بالرعـشة تهـز كيانه.. انه تمثال للأمومة الجريحة التي ينتزع منها وحيدها الغالي ليلقى به في ظلمة السجون.. انها تتشبث به بكل ما تملك من قوة.. ورجال قـساة، جهلـة، جبناء يجرونه، وواحد يضع في يديه جوامع الحديد.. سمعها أحمد تهتف مـن اللوحة:

-انه يناضل من أجلكم، ومن أجل سعادة أبنائكم أيها القساة.. اللوحة تتكلم، الحجر يتكلم، انه يصيح، انه يدوي كالرعد..

وفي هذه القاعة وجد في الصدرعلى عرش: قرد يقفز فوق أكتاف النـاس الى الألوهية!

ودخل قاعة أخرى.. بل هي دار أوبرا.. كانت مزدحمة بالناس مـن كـل الطبقات جاؤوا اليها ليستمعوا الى أوبريت الثورة..

وضجت موسيقى صاخبة وهدرت أغنية ثائرة، ورقص الشعب على النغم الصاخب بالمطرقة والفأس والمعول والمنشار وجذوع الشجر وعـامود حديـد وباب مخلوع وحجارة من كل الحجوم.. وفي الوجوه التي صلّبها الشقاء بحزم وعزم لا يفل، رفعت الرايات وسمع أحمد دوي المدافع، ورأى سحب الـدخان، وأحس بألم لا يطاق.. هل أصيب هو الآخر وارتمى صريعا كالمئات من أبناء

الشعب؟ انه يتألم مافي هذا شك! انه يشعر بغيبوبة وبعدها براحة وسكون.. انه لا بد مات ولكن لا، عقله لا يزال يعمل.. انه يدخل غوطة دمشق.. أهي الجنة التي وعد الله بها المكرمين؟ انه يشم فاغية الزهر ويسمع موسيقى رائعة، فيها السلام وفيها المرح والحب.. انها موسيقى رائعة ككركرة الموج على ساحل اللاذقية، نقية كذرى قاسيون.. الأشجار تتدلّى بثمارها وهو يشعر بجفاف الريق فيمد اليد الى الثمار الناضجة.. عجبا لم لا يلاحقه النـاطور بـسيل شـتائم؟! الخمائل تضج بأزهارها والعرائش تتدلى أعنابها الناضجة، وأهـازيج أطفـال يغنون مع شدو البلابل وإرنائة العود.. انه يسمع ضحكاتهم الصافية البريئـة.. ولماذا لا يضحك الصغار ولهم السلام والأمن والأراجيح والمزالق والـدوامات والألعاب ومسارح الدمى؟

وانفلت صبي من بين احدى حلقات الأحداث الراقصين وهرع نحوه وتعلق بعنقه وهتف: "بـابـا!".. لايمكن أن يكون له إبن في مثل سنه.. ان عزيـز لا يتجاوز السابعة، ولكنه يشبهه كثيرا.. هل استطال عزيز هكذا فـي غيابـه؟.. وتبعه حدث آخر يشبه ابن عامل المطبعة جاره الذي يسكن في غرفة من قبـو المنزل الرطب.. كان يسمع نحيبه كل ليلة، نحيبا كالأنين وكان والده يزجـره قائلا: "عر لتموت ما بتاكل عرموط" (أجاص).. حاجاته لا تـروى، ويتلاشـى بكاؤه وينام الصغير على الطوى.. أغلقت المطبعة لأن سوريا ليست بحاجة الى إشعاعات النور، وتعطل العامل المسكين، فهل يمكن لابنه أن يعيش في زمـرة السعداء! ولكن ها هو ذا يتقدم منه ويسلّم عليه بثقة واطمئنان..

-مرحبا عمو!

-مرحبا يا ابني، هل قلت لوالدك أن يشطب أسماء الذين تبرعـوا لـشراء المطبعة حتى لا تقع أسماؤهم بأيدي المباحث؟ لايجب أن يقتـرف مثـل هـذه الخطيئة.. تكلف غاليا، دما ودمعا!..

وغامت عينا الصبي:

-لم أخبره قتل في الثورة!

-أية ثورة هذه! أية أحداث جرت يا أحمد في غيابك؟.. كأنك مـن أهـل الكهف! كم تطورالعالم وأنت لا تدري!..

وسار مع الفتيان، ما أرشق وثباتهما! فيها الصحة والخفة والمـرح، ومـا أروع الذكاء يشع من عينيهما، وما أغزر ما يعرفان عن الدنيا والناس! سـارا معه في هذه الجنة من عمل الإنسان، هذه الجنة للإنـسان العامـل المنـتج لا للسمسار والخائن! مسارح، وملاعب، ودور أوبرا، وحدائق غناء لا حاجز بينها ولا ناطور، وقصور مشادة في أرجاء الغوطة..

-لمن هذه القصور؟

-لأبناء الشعب..

-ما أروع دمشق! انها كأثينا في عهد بركليس.. وعلّق عزيز:

-ولكنها يا أبي ليست مثلها باغية، ولا معتدية.. وأضـاف ابـن عامـل المطبعة:

-وليست مثلها تتجمل بأسلاب جيرانها، وتحرم نعيمها على غير نبلائهـا! وتنحر جهود بناتها وصنّاعها..

"لا..ان هذا كثير، أيمكن أن تصدر مثل هذه الأقوال عن حـدثين؟ كيـف يصبحان حين يبلغا سنك؟ كنت دائما تحلم باليوم الذي تصبح فيه أحلامك هزيلة شاحبة أمام أحلام أبناء الغد!"..

وقرب مدينة دمشق، رأى مدينة أخرى لا تلفها سحب الدخان، بل تستخدم فيها الطاقة الشمسية وتدوي فيها الآلات في عشرات المعامل.. نظيفة مصقولة تسكب فيها الشمس أشعتها من نوافذ كبيرة، وفيها مكيفات الهواء، وفيها مكبرات الصوت للموسيقى والغناء.. الآلات من بلاتين يلمع، والعمـال فـي معـاطف

بيضاء ناصعة، يقومون بأعمالهم الفنية والإدارية في جو مريح.. ما أمتعه من عمل!..

أصبحت الآلة في خدمة الإنسان، ولم يعد الإنسان في خدمة الآلة!..

ودخل أحمد الحضانات للأمهات العاملات، ومزح مع المربيات اللواتي كن يحملن شهادة في علم نفس الأطفال لرعاية الجيل الجديد وتعليمه الآداب الإجتماعية والخلقية والسلوكية منذ نشأته ليكون عضوا صالحا للمستقبل، وشاهد دنيا الصغار في ألاعيبهم ومرحهم وهم قرب أمهاتهم، وفي أسرتهم الكبيرة الإجتماعية..

وفي مطعم أحد المعامل رأى موائد مفروشة عليها المفارش البيضاء الناصعة المكوية وباقات الزهر في المزهريات، والعمال يذهبون الى الموائد المفتوحة لأشهى الطعام فيختارون صغارا وكبارا ما يطيب لهم ويجلسون الى طاولة تضم عائلتهم الصغيرة يأكلون كأبناء الذوات، ويتراشقون بالنكات، ويضحكون ويمرحون.. لقد انتهى عمل النهار، وانصرف الجميع الى ما يحلو لهم من قراءة للصحف، والمطالعة الجدية، ومشاهدة التلفزيون، أو الذهاب الى البيت الذي تتوفر فيه كل أسباب الراحة!

كم تمنيت يا أحمد أن تنطلق إنسانية الإنسان.. لقد احتملت الكثير من أجل هذا، ليكون لكل فرد ترف الثقافة وساعات الفراغ والحرية، أن يمسك مستقبله ومصيره وتطوره بين يديه، دون أن يستغله أو يستعبده أحد!..

ها هو في ميناء اللاذقية.. لا يمكن أن يكون البلد الذي عرفه.. أصبح عقد لؤلؤ على جيد البحر، أجمل من أسطورة ومن أحلام ألف ليلة ومدينة أفلاطون.. القصور تستريح على شواطئه من كل نسق ومن كل فن، استراحات دورية لكل أبناء الشعب المنتج في سوريا بأجر رمزي..

قال له الدليل:

أنظر الى هذه البناية الضخمة.. انها لعمال صناعة السفن.. كـل طـابق دهنت نوافذه بلون مشع يؤلف مع الطوابق الأخرى قوس قزح جميل، يـضاهي في روعته سماء اللاذقية قبل غروب الشمس فيها، والقرص الناري يسبح فـي البحر..

-هل أصبح في اللاذقية صناعة سفن؟

-ألم تدر بهذا؟ وهذه البناية الزرقاء هي للصيادين وعمال حفظ الأسماك.. ان طابقها الأرضي هو متحف لكل أنواع الأسماك، متحف بـديع رائـع.. ان الأسماك تطل من وراء بركها في الجدران.. تعال وانظرها..

-ولكن ما هذه السمكة؟ من تشبه عيناها الجاحظتان؟.. انها ليست سـمكة، انها أفعى، انها كوبرا تريد التهامي:

-وقّع، أو مت تحت التعذيب!

ليهرب من هذا المكان، ليسبح قليلا في البحـر ويـستلقي علـى شـاطئه الجميل، ولكن الرمل ساخن يحرقه.. انه يحس الحروق في كل جسده..

انه يطير.. مدن جديدة شيدت، وأخرى تغيرت معالمها، وكل شـبر فيهـا جهد مبذول..

ان آبارا للبترول اكتشفت، ومصافي أنشئت، ومناجم ذهب نبشت، ومراكز كهربائية استحدثت على ضفاف أنهارها، والجرارات والحاصـدات والمـذاري تحيي سهولها، والأحراج تكسو جبالها الجرداء، والماء النقي والكهرباء يـصل الى كل ركن فيها..

هذا نظام الشعب يا أحمد.. هكذا يبني الشعب جنته!..

ويرى أحمد نفسه يحطّ في قاعة غريبة.. مسقوفة لا يمكنه الطيران، يحاول فيهبط، يكررالمحاولة لايجاد منفذ فيهبط، ويشعر بالخوف والإنقباض.. من هـم

هؤلاء الذين يتسارون فيما بينهم ثم يلاحقونه، يضحكون ويكشفون عن أسـنان ذهبية ولكن أية رائحة تنبعث من أفواههم!

-تعال معنا..اتبعنا!

كم أنفه وأشاح بوجهه عنهم.. ماذا يريدون منه؟ لكنه عرفهم مـن اللكنـة الغريبة في لهجتهم.. وهتف مغضبا:

-أنا لا أضع يدي بأيدي أعداء بلادي!

آه ماذا حدث؟ أين دليله؟ انه يسير في دروب مظلمـة، ان أيـد شـيطانية تحمله الى العفن والظلام، ان عيونا جاحظة كعيني تلك السمكة التي رآها فـي المتحف تطل عليه، تحدق فيه مهددة.. أسنانها الكلبة تعضه في كل مكان مـن جسده.. وهتف بصوت أبح بقي مكتوما في حلقه:

-لست أرهبكم.. قساة، جهلة، جبناء، تافهون.. انكم تعذبوني.. أنـا أتـألم وأصيح كالبشر.. ولكنكم لن ترغموني.. سأحتمل العذاب حتى لا أحتقر نفسي، وتخجل بي زوجتي وإبني.. آه ان هذا الألم رهيب.. من أجلكم أناضـل أيهـا التعساء، لأجل سعادة أبنائكم حتى لا يشبوا قتلة مثلكم!

وفتح أحمد عينيه.. ما هذا الضوء الساطع الذي يزغلل بصره؟ هل كان ما شاهده حلما؟ أهو كابوس رهيب يتلاشى اذ يفتح عينيه؟ وطالعته وجوه فقـدت كرامة الرجولة ومعاني الرحمة، وحدقت فيه عينان جاحظتان..

-وقّع!

-لن أوقّع!..

-اذن مت تحت التعذيب!

وأحس بشيء رهيب، بألم يفوق التصور الإنساني، وغشي عليه.. وخيـل اليه أنه يطير في سماء دمشق، ويرى زوجته كالمصعوقة تخبـئ عزيـز فـي صدرها حتى لايراه..

-لماذا؟ أترى منظره رهيبا؟

انه يطير، ان دمشق في مهرجان، ان طلبته يهتفون، انهم يضعونه على المنصة.. ان إحسان يتقدم ويرفع الستار عن تمثال.. لمن هذا التمثال؟ عجبا كم يشبهه! انه نفسه تمثال!

* * *